جذور نظرية الحقول الدلالية في معجم فقه اللغة وسر العربية للثعالبي

– دراسة تأصيلية تجديدية –

اسم ولقب الباحث: ليندة زواوي.

الدرجة العلمية: أستاذة محاضرة قسم "ب".

جامعة عبد الرحمان ميرة – بجاية – الجزائر.

البريد الإلكتروني:lindazouaoui06@gmail.com

الملخص:

إن اللغة العربية لها ثروة لفظية زاخرة لا تعد ولا تحصى، واهتمام اللغويين قديما بالبحث في دلالة كلماتها قادهم إلى أعمال مبكرة تعد من صميم البحث الدلالي الحديث، نجد منها معجم "**فقه اللغة وسر العربية**" للثعالبي، فرغم اختصاره فهو شامل محيط؛ وهذا راجع للهدف الذي أُلّف من أجله وهو تصحيح أساليب المتكلمين بسبب ما دب من شيوع اللحن في معاني الكلمات في عصره، فأتى بما يصحح ذلك متوخيا الدقة في المدلول والتخصيص في المعنى. إن هذا البحث يهدف إلى إبراز القيمة العلمية لهذا المعجم، وربطه بما توصل إليه الغربيون في هذا المجال لنصل إلى إعادة صياغة الجهود المؤسسة لنظرية الحقول الدلالية عند العرب.

وإذا جئنا نؤرخ لهذه النظرية عند العرب لا نجد في التراث اللغوي العربي ما يشير لذلك لأنهم لم يطلقوا عليها المصطلح نفسه، إضافة إلى أنها بقيت حبيسة الرسائل اللغوية ومعاجم المعاني ولم تتطور عبر العصور حتى جاء الغربيون وأضافوا إبداعاتهم إلى هذا التراث الضخم لتحقيق عصرنة عمل القدماء العرب، وبناء على ما سبق ذكره البحث سيحاول الإجابة على السؤال التالي : ماهي جوانب نظرية الحقول الدلالية في معجم فقه اللغة وسر العربية للثعالبي؟.

الكلمات المفتاحية: علم الدلالة، المعنى، الحقل الدلالي، الحقول السنتجماتية، الحقول الصرفية.

Abstract

Arabic has countless verbal wealth. The interest of ancient linguists in researching the significance of its words led them to the early works which are at the core of the semantic research. From it, we find the Lexicon of Jurisprudence and the Secret of Arabic for Thaalibi. Despite its concision, it is a comprehensive perimeter. This is due to the goal to what he wrote it for, which is to correct the methods of the speakers because of the prevalence of the melody in the meanings of the words in his era. Hence, he came up with what is correct for the sake of precision and specialization in the meaning. This research aims at highlighting the scientific value of this dictionary and links it to what Westerners have reached in this field so that we can reformulate the founding efforts of semantic fields theory among Arabs. If we came to chronicle this theory with the Arabs, nothing is found in the Arab

linguistic heritage to indicate this since they did not term it similarly. In addition, it remained locked in linguistic messages and semantic glossaries and did not develop throughout the ages until westerners added their creativity to this vast heritage to achieve modernization of the ancient Arab works. Based on the foregoing, this research attempts to answer the following question: what are the aspects of semantic field's theory in the Lexicon Jurisprudence and the Secret of Arabic to Thaalibi.

Key words :**semantics, semantic field, meaning, syntagmatic fields, morpho semantic fields.**

المداخلة:

تعد نظرية الحقول الدّلالية من أهم النّظريات الحديثة التي تطورت في العشرينات ،كان هدفها تصنيف المداخل المعجمية أو المعاني وترتيبها وفق نظام خاص، حيث تبدو الصّلة واضحة بين الكلمات إذ ترتبط الواحدة بالأخرى من الناحية المعنوية، وتعتبر إحدى نقاط التحوّل الهامة في تاريخ علم اللغة الحديث، لذلك فإنه من المفيد أن نقف على مفهوم الحقل الدلالي .

– مفهوم الحقل الدلالي :

وردت تعريفات عدة للحقل الدلالي من أهمها التعريف الذي أورده "**جورج مونين**" **(G.MOUNIN)** بقوله هو: "مجموعة من المفاهيم تبنى على علائق لسانية مشتركة، ويمكن لها أن تُكوّن بنية من بنى النظام اللّساني كحقل الألوان، وحقل القرابة، وحقل مفهوم الزمان، وحقل مفهوم المكان وغيرها"[1].

إذن الحقل الدّلالي يتكون من مجموعة من الكلمات المتقاربة في المعنى ويتميز بوجود ملامح دلالية مشتركة، ومن خلالها تكتسب الكلمة معناها في علاقاتها بالكلمات المجاورة لها، لأن الكلمة لا معنى لها بمفردها بل إن معناها يتحدّد مع أقرب الكلمات إليها في إطار مجموعة دلاّلية واحدة وهو ما عبر عنه " **فندريس**" قائلا: "إنّ الذهن يميل دائما لجمع الكلمات وإلى اكتشاف عرى جديدة تجمع بينها فالكلمات تثبت دائما بعائلة لغوية "[2].

و يتفق أصحاب نظرية الحقول الدلالية على جملة من المبادئ وهي:[3]

لا وحدة معجمية **(lexème)**عضو في أكثر من حقل.

لا وحدة معجمية لا تنتمي إلى حقل معين.

لا يصح إغفال السّياق الذي ترد فيه الكلمة.

استحالة دراسة المفردات مستقلة عن تركيبها النّحوي.

إنّ نظرية الحقول الدّلالية لا يهمها فهم معاني الكلمات وحسب بل تسعى إلى تصنيف هذه المعاني في حقول دلالية؛ يقول "**تشومسكي**"**(Chomsky)** في ذلك:"إن من الهام وضع تصوّر للمفاهيم الممكنة "

[4]، ويقول" **وودصون"و"ستورك"*(widdowson &stork)** " السيمنتيك لا يهتم فقط بإطلاق الأسماء فالأهم من ذلك طريقة تصنيف الأشياء التي سنعطيها الأسماء"[5].

أما تحديد المفهوم التصوّري للحقل فيقوم على تصوّر ذاتي اعتباطي يتسم بالذاتية إلى حد ما لذلك نجده يختلف من باحث لآخر ؛يقول "**جرمان كلود"(G.Claude)**في ذلك:"إن تحديد الحقل يقوم أساسا على انتقاء مفهوم تصوري علم بكيفية اعتباطية ثم يخضع المفهوم التصوري المنتقى للإجراءات التجريبية يتم تحديد الوحدات الأساسية التي تُكوّن بنية الحقل المراد دراسته"[6].

و يتضح من هنا أن الباحث هو الذي يحدّد المفاهيم بنفسه ويصنفها حسب ما يبدو له أنّها ترتبط فيما بينها بقرابة دلالية معينة تندرج تحت مفاهيم مختلفة مع الرّجوع إلى كتب اللّغة، بعد أن يحصرها ويحدّد العلاقات بين الكلمات داخل كل حقل مع التمييز بين الكلمات الأساسية والكلمات الهامشية فيه[7].

ولعل أهم وأشمل التصنيفات التي قدّمت حتى الآن وأكثرها منطقية التصنيف الذي اقترحه أصحاب معجم العهد الجديد اليوناني إذ اتسع مجال التصنيف فيه ليشمل 15000 معنى لـ: 50000 كلمة تم توزيعها على أربعة أقسام رئيسية:

1 – الموجودات 2 – الأحداث 3 – المجّردات 4 – الروابط

ويوجد تحت كل قسم أقسام أصغر ثم يقسم كل قسم على أقسام فرعية أصغر فأصغر ، وهكذا يصل مجموعها إلى 275 مجالا أساسيا[8].

إنّ وضوح فكرة المجالات الدّلالية عند الغرب والاهتمام بتطبيقها لا يعني أنهم السباقون إليها بل تفطن لها العرب القدامى قبلهم، وذلك إبان حركة جمع مفردات اللغة العربية وتدوينها انطلاقا من مشافهة الأعراب، بيد أنهم لم يطلقوا عليها المصطلح نفسه (المجال الدلالي) وخير مثال على ذلك ما وضعوه من رسائل لغوية عديدة وما يعرف بمعاجم المعاني أو الموضوعات، إذ ترتب الألفاظ في مجموعات دلالية يجمعها موضوعا واحدا أو معنى عاما، ويعالج كل منها موضوعا بعينه؛ يقول "**أحمد مختار عمر**" في ذلك :" وما يلفت النظر – إلى حد كبير – الشبه الواضح بين معاجم الحقول الدلالية الحديثة ومعاجم الموضوعات القديمة (في اللغة العربية) فكلاهما يقسم الأشياء إلى موضوعات، وكلاهما يعالج الكلمات تحت كل موضوع، وكلاهما قد سبق بنوع من التأليف الجزئي المتمثل في جمع الكلمات الخاصة بموضوع واحد ودراستها تحت عنوان واحد "[9].

ومما لاشك فيه أن بداية ظهور معاجم المعاني عند العرب قد سبق بما ألف من رسائل لغوية مثل: خلق الإنسان، والشجر، والنبات، والإبل، والخيل، والشاه، والوحوش **للأصمعي** (ت216هـ) والخيل، والغنم،

والوحوش، والسباع، والطير **لأبي عبيدة** (ت 224هـ)، واللبن، والمطر،والشجر **لأبي زيد الأنصاري** (ت 215هـ)، والنبات **لأبي حنيفة الدينوري** (ت 282هـ)،و ألف أيضا في اللباس، والطعام ، والمعديات، والأنواء، والسحاب، والشجر ،وهي رسائل ضمت مجموعات دلالية تعلقت بموضوع واحد وكانت هذه الأعمال اللّبنة الأساسية في وضع المعاجم العربية كما عرفت فيما بعد [10] ومن ثم كانت معاجم المعاني أو الموضوعات نتيجة لهذه الرسائل إذ اكتمل التأليف فيها في منتصف القرن الخامس الهجري أذكر من بينها: الغريب المصنف **لأبي عبيدة القاسم بنسلام** (ت224هـ)، ومبادئ اللغة **للإسكافي** (ت421هـ)، وتهذيب الألفاظ **لابن السّكيت** (ت224)، والمخصص **لابن سيده** (ت458هـ)، وأساس البلاغة **للزّمخشري** (585هـ)وغيرها[11].

إن فضل الرّسائل اللغوية يكمن في كونها النواة الأولى لتأليف معاجم المعاني، وقد تُوِّجت بمعجم المخصّص لابن سيده الذي يعتبر أكمل صورة وأضخم عمل تتجلى فيه فكرة الحقول الدّلالية، ويمكن تقسيمه إلى أربعة مجالات دلالية عامة وهي: الإنسان والحيوان والطبيعة والماديات[12].

ونجد كذلك كتاب فقه اللغة وسر العربية للثعالبي وهو صورة مصغرة لمعاجم المعاني، وهو معجم مرتب حسب الموضوعات أو كما هو معروف في العصر الحديث مبنى وفق حقول دلالية، وهذه الأخيرة مقسمة إلى أبواب لم ترتب وفق منهج دقيق أو نظام معين، لكن لا تخلو من تسلسل منطقي في بعض الأحيان لا يصل لدرجة الاكتمال.

إن تصنيف الكلمات وفق حقول دلالية في العصر الحديث عرف عدّة محاولات، وأفضل محاولة يمكن أن تستغرق ألفاظ اللغة جميعها كما سبق الذكر هي محاولة "**معجم العهد الجديد**" **(new creet tastement)** ويقوم هذا المعجم المصنّف للمفاهيم على أربعة مبادئ أساسية وهي:

1- حصر الحقول أو المفاهيم الموجودة في اللغة وتصنيفها:

قام أصحاب هذا المعجم – معجم العهد الجديد – بتصنيف ألفاظ اللغة وتقسيمها على أربعة حقول رئيسية وهي: الموجودات، والأحداث، والمجّردات، والأدوات:[13]

أ- الموجودات: جمع موجود وهو:" الذي يمكن أن يخبر عنه " [14]وهذا يعني أنها تشمل كل الأشياء المجسمة في الخارج التي يمكن ملاحظتها بالعين المجردة أو بالمجهر، وقد قسم على حقلين أساسيين:

1-**حقل الموجودات الحية** : وينقسم إلى ثلاثة حقول فرعية وهي: إنسان حيوانات وطيور وحشرات، قوى وكائنات فوق طبيعية.

الحقل الدال على القوى والكائنات الفوق طبيعية في اللغة العربية لا يمكننا أن ندرجه ضمن الموجودات الحية؛بل نفرد له حقلا خاصا وهو حقل الغيبيات، ومن هنا يتضح بأن كل لغة لها مميزاتها الخاصة

ولذلك لا ينبغي أن نعتبر تصنيف معجم العهد الجديد عالميا إلا أنه يعتبر أفضل ما قدم في هذا المجال حتى الآن.

2-**حقل الموجودات غير الحية:** وينقسم إلى حقلين أساسيين وهما: طبيعية وصناعية. وأصحاب هذا المعجم صنفوا النباتات مع الموجودات الطبيعية غير الحية لأنهم يعرفون الموجود الحي هو الذي يجري أما في اللغة العربية فيوضع تحت حقل الموجودات الحية.

ب- الأحداث: جمع حدث وهو كل ما يقوم به الإنسان أو غيره من أفعال إرادية أو غير إرادية فقد تكون: طبيعية،عقلية، حركة،تحكم، تطور، تواصلية، صدم، نقل...الخ وبدورها تنقسم إلى حقول فرعية.

ج- المجرّدات : وهي عكس الماهيات تشمل كل ما يعزله الذّهن عن جميع اللّواحق والعلاقات الحسية وهي: [15]

الحالة الصحية، الجودة، العمر، العدد، الحرارة، المقدار، الطاقة، المركز، اللون، الحركة، المسافة، الصفات.

ويندرج تحت كل حقل من هذه الحقول المتفرعة عن الحقل الرّئيسي (المجردات) حقولا أخرى تقل وتكثر بحسب مفردات كلّ حقل، تأخذ في الهبوط والتوسّع الأفقي إلى أن تأتي على الألفاظ المستعملة في المجرّدات جميعها .

وما يؤخذ على هذا التصنيف هو إدراجهم الصفات ضمن حقل المجرّدات، ولو طبقنا هذا التصنيف على اللغة العربية لجعلناه حقلا مستقلا يشمل اسم الفاعل واسم المفعول وصيغة المبالغة واسم الفاعل وصيغة التفضيل والصفة المشبهة[16].

د) . الروابط: وهي الحروف وهي ما دلت على معنى في غيرها[17].

وإذا رجعنا إلى معجم "**فقه اللغة وسر العربية**"**للثعالبي** فإننا نجده قد قام بتصنيف المفاهيم الموجودة في اللغة وفق حقول دلالية، إلا أنه لم يطلق عليها مصطلح حقل وإنما مصطلح باب، وكل باب بالنسبة له يمثل حقلا دلاليا عاما مستقلا عن الآخر، ويندرج تحت كل باب من هذه الأبواب فصولا، تعدّ بمثابة حقولا فرعية كما رأينا في "**معجم العهد الجديد** ".

وإذا كان "**معجم العهد الجديد**" قد قُسم على أربعة حقول رئيسية كبيرة فإن معجم " **فقه اللغة وسر العربية**" قد قسم على ثلاثين بابا أو حقلا رئيسيا، أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

- **الباب الأول:** في الكليات.

الباب الخامس: في صغار الأشياء وكبارها وعظامها وضخامها.

الباب الثالث عشر: في ضروب من الألوان والآثار.

الباب العشرون: في الأصوات وحكاياتها.

الباب الرابع والعشرون: في الأطعمة والأشربة وما يناسبها.

الباب السادس والعشرون: في الأرضين والرمال والجبال والأماكن وما يتصل بها ويضاف إليها.

الباب الثلاثون: في فنون مختلفة الترتيب في الأسماء والأفعال والصفات.

وبإلقاء نظرة متأنية على ترتيب الثعالبي لأبوابه يتضح أنه رتبها ترتيبا عشوائيا وهذا ما يدل على اضطراب في بناء الحقول يفتقر إلى المنطق والموضوعية ويتضح هذا الاضطراب بشكل بارز من خلال بعض الفصول التي نجدها تحت أبواب لا تمت لها بأي صلة ومن أمثلتها:

– الباب الأول خصصه للكليات ونجده يضم فصولا في ذكر ضروب من الحيوان [18] رغم إفراده بابا خاصا له [19]،كما ضم فصلا في النبات والشجر [20] رغم تخصيصه بابا مستقلا سماه:" في النبت والزّرع والنخل" [21]، وعقد فيه فصلا للثياب [22] وكان الأولى أن يضمه إلى الباب الذي عقده له وهو:"في اللباس وما يتصل به والسلاح وما يضاف إليه" [23]. كما عقد فيه فصلا للطعام [24]رغم تخصيصه بابا " في الأطعمة والأشربة وما يناسبها "[25]. وعقد المصنف كذلك فيه فصلا سماه:"فصل عن ابن قتيبة " [26] ذكر فيه بعض الألفاظ الدالة على الحيوانات والأولى أن يضمها إلى الباب الذي خصص لهذا الشأن [27] .

ومن اضطراب الحقول أن الثعالبي عقد فصلا في أدواء العين تحت باب "الأصول والرؤوس والأعضاء والأطراف وأوصافها" رغم أنه خصص لها بابا سماه " الأمراض والأدواء وذكر الموت والقتل "[28]. كما عقد فصلا لأنواع الآلات والأدوات[29] في "باب التنزيل والتمثيل" [30] وكان من المفروض أن يضمه لباب الآلات والأدوات وما يأخذ مأخذها[31].

وفي باب " ضروب الحيوان " [32] نجد الفصول التالية: في ترتيب الجن، في ترتيب صفات المجنون، يناسبه في صفات الأحمق، معايب خلق الإنسان ...، في اللؤم والخسة ... في أوصاف النوق، أوصافها في اللبن،وفي باب الأطعمة والأشربة وما يناسبها نجد فصلا عنوانه" فصل يقاربه من جهة ويباعده من أخرى" وجاءفيه: "الأَبْرَقُوالبُرْقَةُ: حجارةوتراب مختلطة...، اللَّثَقُ ماء وطين يختلطان، العُرَّةُ: البَعْرُ المختلط بالتراب..."[33] ، وكل هذه الكلمات لا تمت بأي صلة للحقل الدلالي الرئيسي.

وفي باب «الآثار العلوية وما يتلو الأمطار من ذكر المياه وأماكنها" نجد فصلا في "ترتيب صوت الرعد على القياس والترتيب"[34]، وكان الأولى أن يضمه لباب "الأصوات وحكاياتها" [35]، وغيرها من الأمثلة التي توضح هذا الجانب.

وهذا الاضطراب لم يقتصر على تنافر الفصول الواقعة تحت الباب الواحد بل تعداه إلى تنافر المواد داخل الفصل الواحد ومن أمثلتها:

– يقول الثعالبي "لا يقال للطبق: مِهْدَى إلا مادامت عليه الهدية، ولا يقال للبعير: رَاوِيَة إلا مادام عليه الماء، ولا يقال للمرأة: ظَعِينَة إلا مادامت راكبة في الهَوْدَج، ولا يقال للسِّرْجِين: فَرْثٌ إلا مادام في الكَرِش، ولا يقال للدلو:سَجْل إلا مادام فيها ماء قل أو كثر ..."[36].

وكما هو ملاحظ فإن كل كلمة من هذه الكلمات التي وضعها الثعالبي تحت حقل واحد تنتمي إلى حقول دلالية مختلفة.

– ويقول في موضع آخر"...كل عَظْمٍ عريض فهو: لَوْح،كل جلد مُدَبَّغ فهو: سِبْت،كل صانع عند العرب فهو: إسكَاف،كل عامل بالحديد فهو: قَين،كل ما ارتفع من الأرض فهو: نَجْد،كل أرض لا تنبت فهي: مَرْتٌ..."[37].

و الشيء نفسه بالنسبة لهذه الكلمات فلو أعدنا تصنيفها لوجدنا كل واحدة منها تنتمي إلى حقل غير الحقل الذي تنتمي إليه الأخرى.

وهذا التنافر في المواد داخل الفصل أو الحقل الواحد وتكرارها راجع لعقد الثعالبي لأبواب عامة غير متخصصة، فمن البداهة أن تتكرر في أبوابها المتخصصة ومن أمثلتها:

كلمة نعش[38] ذكرها في باب" في الأشياء تختلف أسماؤها وأوصافها " وهو باب عام كما نجدها في باب:"...في اللباس وما يتصل به من السلاح وما يضاف إليه وسائر الآلات والأدوات..."[39].

وكذلك قوله في الباب الخامس"في صغار الأشياء وكبارها وعظامها وضخامها «: "اليَفَنُ: الشيخ الكبير، القِلْعَمُّ: العجوز الكبيرة (عن الليث)، القَحْرُ: البعير الكبير، الطِّبْعُ: النهر الكبير (وهو في شعر لبيد)، الرَّسُّ: البئر الكبيرة" [40]. فالكلمات اليفن [41] والقلعم[42] والقحر[43] نجدها في باب: "في أسنان الناس والدّواب وتنقل الأحوال بهما، وكلمة الطبع [44] والرّسّ[45] نجدهما في باب"في الآثار العلوية وما يتلو الأمطار من ذكر المياه وأماكنها،كما نجد كلمة "كعبة "و"صرح"في الفصل الأول من الباب الأول [46]، ونجدها كذلك في الفصل السادس عشر من الباب الخامس والعشرون [47] .

وكلمة "القهب " نجدها في باب "صغار الأشياء وكبارها وعظامهاوضخامها"[48]، ونجدها كذلك في باب"في الأرضين والرمال والجبال ..."[49] وغيرها من الكلمات التي يمكن إدراجها ضمن هذا الغرض مثل: الصبح [50] والحَصَى [51] والفَسِيل [52] ...الخ.

ورغم هذا الاضطراب في منهج الثعالبي المتمثل في عقده أبوابا غير متخصصة نتج عنه تكرار في الفصول والمواد مما يصعب مهمة الحصول على الكلمات من طرف الباحث، الذي يعتبر من الجوانب

السلبية في معاجم المعاني بصفة عامة،إلا أنه لايمكن أن ننكر الجوانب الإيجابية فيه، المتمثلة في الأبواب المتخصصة التي عقدها وهي أقل من سابقتها ومن أمثلتها:

- باب في الأطعمة و الأشربة و ما يناسبها[53] .
- باب في الآثار العلوية وما يتلو الأمطار من ذكر المياه وأماكنها[54].
- باب في الأرضيين والرمال و الجبال والأماكن وما يتصل بها وينضاف إليها[55].
- باب في الحجارة[56].
- باب في النبت والزرع والنخل[57].
- باب في الطول والقصر[58].
- باب في اليبس واللين[59].
- باب في الشدة والشديد من الأشياء[60] .
- باب في القلة والكثرة[61].
- باب في الملء والامتلاء والصفورة والخلاء[62] .

كما أن الفصول التي تتضمنها هذه الأبواب معناها يدور حول موضوع واحد ففي باب :" النبت والزرع " تطالعنا الفصول التالية[63]: في ترتيب النبات من لدن ابتدائه إلى انتهائه ، فصل في مثله، في ترتيب أحوال الزرع، في ترتيب البطيخ في قصر النخل وطولها، في تفصيل سائر نعوتها، مجمل في ترتيب حمل النخلة.

وفي باب الحجارة تطالعنا الفصول التالية[64]: في الحجارة التي تتخذ أدوات وآلات، في تفصيل حجارة مختلفة الكيفية في ترتيب مقادير الحجارة على القياس والترتيب ...وغيرها من الأمثلة التي توضح هذا الجانب وهذا بالنسبة إلى بناء الحقول الدلاليةداخل معجم فقه اللغة.

وإذا رجعنا إلى ترتيب المواد داخل الفصل الواحد أو الحقل الواحد فإنه لا يمكننا إنكار جهد الثعالبي الجبار في هذا الشأن، فإذا كانت نظرية الحقول الدلالية تقوم على مبدأ أن الكلمات لكي تنتمي إلى مجال دلالي واحد لابد من التعرف على المحدد الدلالي الخاص لكل لفظ من الألفاظ حتى نميزه عن غيره، وبجعل العلاقة بين هذه الكلمات متقاربة ومنتمية إلى مجال دلالي محدد من خلال جمع الكلمات التي تؤلف مجموعة دلالية واحدة؛ بشرط اشتراكها في الملامح الدلالية لهذه المجموعة فإن هذا الجانب نجده بوضوح في معجم فقه اللغة ؛ بل تفنن الثعالبي في تقديم الألفاظ المنتمية إلى مجال واحد .

وبالإضافة إلى انتمائها إلى مجال واحد قام بترتيبها وفق طرائق مختلفة فمنها ما رتبها من القلة إلى الكثرة كترتيب الإنسان بحسب كبره، والجبال بحسب حجمها، والصوت بحسب علوه، والرمال بحسب كميتها، ومنها ما رتبها من الكثرة إلى القلة،أو من الأعلى إلى الأسفل، وفيما يلي بعض النماذج التي أوردهاالثعالبي و يمكن معالجتها وفق نظرية المجال الدلالي.

يقول الثعالبي في فصل "ترتيب النبات من لدن ابتدائه إلى انتهائه": "أول ما يبدو النبت فهو: بَارِضٌ[65] فإذا تحرك قليلا فهو جَمِيمٌ، فإذا عمَّ الأرض فهو: عَمِيمٌ، فإذا اهتز وأمكن لأن يقبض عليه قيل: اجْثَأَلَّ[66]،فإذا اصفرَّ ويبس فهو هَائِجٌ [67]، فإذا كان الرطب تحت اليبس فهو: غَمِيمٌ [68]، فإذا كان بعضه هائجا وبعضه أخضرَ فهو:شَمِيطٌ[69]، فإذا تهشم وتحطم فهو: هَشِيمٌ [70] وحطام[71]، فإذا اسودَّ من القِدَمِ فهو الدِّنْدِنُ (عن الأصمعي)، فإذا يبس وأصابه المطر فاخضرَّفذلك: النَّشْرُ[72].(عن أبي عمرو)"[73].

ومن خلال النظر في هذا النموذج نلاحظ أن الكلمات السابقة كلها تتقارب فيما بينها في الدلالة على أصل واحد وهو "النبات "، الأمر الذي يؤهلها لأن تكوّن مع بعضها مجالا دلاليا واحدا، ومعنى هذا أننا حين نبحث عن الكلمات التي تتقارب دلاليا مع الكلمة التي نريد دراستها، والتي تكون معها مجالا دلاليا ينصب اهتمامنا على كل الكلمات التي تشترك معها في مجال دلالي واحد.

إن انتماء كل هذه الكلمات إلى مجال دلالي واحد جعلنا نلاحظ فروقا دلالية بينها تميز كل كلمة عن الأخرى،كما أن طريقة عرضه لهذه الوحدات المعجمية جاءت مرتبة ترتيبا تصاعديا من لدن ابتداء نمو النبات إلى انتهائه مما جعل الفروق الدلالية بينها واضحة جدا.

ويقول الثعالبي في فصل"تدريج القبيلة من الكثرة إلى القلة "[74]: "الشَّعْبُ: بفتح الشين أكبر من القَبِيلَةِ ثم القبيلة [75] ثم العِمَارَةُ بكسر العين ثم البَطْنُ ثم الفَخِذُ "[76].

والملاحظ أن كل الكلمات السابقة تشترك كلها وتتقارب فيما بينها في الدلالة على أصل واحد وهو القبيلة الأمر الذي يؤهلها لأن تكون مجالا دلاليا واحدا.

وعلى الرغم من وجود علاقة دلالية فيما بين هذه الكلمات إلا أننا نلاحظ فروقا دقيقة وظلالا رقيقة تميز كل كلمة عن الأخرى.

ويقول المصنف في فصل «الأصوا ت التي لا تفهم": "اللَّغَطُ " [77] : أصوات مبهمة لا تُفْهَمُ، التَّغَمْغُمُ[78]:الصوت بالكلام الذي لا يَبِينُ، وكذلك التَّجَمْجُمُ، اللَّجَبُ [79]: صوت العسكر، اللَّجِبُ، الوَغَى [80]: صوت الجيش في الحرب، الضَّوْضَاءُ: اجتماع أصوات الناس والدَّوَآب، وكذلك: الجَلَبَةُ[81] "[82].

كل هذه الكلمات تشترك وتتقارب فيما بينها في الدلالة على أصل واحد وهو كلمة "صوت " الأمر الذي أهلها لأن تكون مع غيرها من الكلمات التي تدل عليها مجالا دلاليا واحدا.

2- ومن المبادئ التي تقوم عليها نظرية الحقول الدلالية التحديد الدقيق للكلمات الأساسية والهامشية داخل الحقل الواحد فمنها ما يكون في مركز الحقل ومنها ما يكون في هامشه، وإذا رجعنا إلى معجم فقه اللغة فإننا لا نلمس هذا الجانب لأن هدف الثعالبي الأول والأخير هو إعطاء المعاني الدقيقة لكل كلمة وتبيان الفروق بين الكلمات المتقاربة في الدلالة.

3- تقوم نظرية الحقول الدلالية على تبيان العلاقات الدلالية داخل الحقل المعجمي، وذلك لأن معنى الكلمة هو محصلة علاقاتها بالكلمات الأخرى المندرجة معها في حقل واحد، و الثعالبي لم يكن غافلا عنها، حيث نص عليها، إلا أنها جاءت متناثرة في كتابه، ولم يتناولها في إطار الحقل المعجمي الواحد.

وبناء على ما سبق يتضح أن نظرية الحقول الدلالية تقوم على فكرة المفاهيم العامة التي تجمع بين مفردات اللغة بشكل منتظم، وأن الكلمة المفردة لا تشكل وحدة مستقلة لأن اللغة نظام، وقيمة كل عنصر من عناصرها تتحدد بمكانه وعلاقته داخل المجموع .

4 - وقد وسع بعضهم مفهوم الحقل الدلالي ليشمل الأنواع التالية[83]:

1) - الأوزان الاشتقاقية : يطلق عليها اسم الحقول الدلالية الصرفية (**MORPHO SEMANTICFIELDS**) ويظهر هذا النوع بشكل أوضح في اللغة العربية كما نجده في معجم "فقه اللغة وسر العربية" للثعالبي،إذ اتخذه وسيلة لبناء بعض الحقول، ومن أمثلتها ما أورده في باب: "صفة الأمراض والأدواء..." [84]وذلك في فصل "في سياق ما جاء منها على فُعال " [85]، يقول في ذلك:"أكثر الأدواء والأوجاع في كلام العربعلى "فُعال " كالصُّداع، والسُّعال، والبُحاح، والزّكام، والقحاب [86] ، والخنان[87]، والدّوار، والنّحاز[88]، والصدام، والهلاس[89]، والسلال[90]، والهيام ...".

البناء الصرفي لهذه الكلمات ينم عن القرابة الدلالية التي تجمع هذه الألفاظ في حقل دلالي واحد فهي تشكل نظاما صوريا ودلاليا في ذات الحقل، وجميعها تدل على المرض وتختلف عن بعضها في نوعيته، والأعضاء التي تصاب به.

إن المعيار الصرفي هو الذي دل على العلاقة الموجودة بين الكلمات ذات التشابه في الصيغة الصرفية غير أنه لا يمكننا تطبيق هذا المعيار على جميع الحقول الدلالية؛ لأنه لا يعتبر معيارا ناجحا لتصنيف الحقول، ولأنه ليس ثمة ما يدل مثلا على أن هناك علاقة بين كلمة "رجل" و"امرأة" و"ابن" مع أن هذه الكلمات تنتمي إلى حقل دلالي واحد وهو حقل الألفاظ الدالة على الإنسان.

ومن الأمثلة التي أوردها الثعالبي في هذا الصدد ما جاء في فصل" الدواهي" ، يقول في ذلك :"(منها ما جاء على فَاعِلة يقال نزلت بهم نازِلة ونَائِبة، وحَادِثَة ثم آبدة ودَاهِية، وبَاقِعَة ثم بَائِقة وحَاطِمة، وفَاتِرة وفَاقِرَة ومنها ما جاء على التصغير: جاء الرُبَيْق والأُرَيْق ثم الدُّوَيْهِيَة والخُوَيْخِيَة ..."[91].

كلمات المجموعة الأولى جاءت على وزن فاعلة إضافة إلى أنها تشترك في الدلالة على الدواهي وكلمات المجموعة الثانية جاءت على التصغير وتدل كذلك على الدّواهي.

2) . الحقول السنتجماتية (SYNTAGMATIC FIELDS)[92]: تضم الكلمات المترابطة عن طريق الاستعمال وإذا بحثنا عن هذا الجانب في معجم"فقه اللغة وسر العربية "فإننا نجد الثعالبي قد عقد أكثر من فصل يضم كلمات وما يتناسب معها عن طريق الاستعمال ومن أمثلته:

– يقول في فصل" أنواع الآلات والأدوات عن الأئمة ": "الغَرْز للجمل كالرِّكَاب للفرس، والغُرْضة للبعير كالحِزَام للدّابة والسَّنَاف للبعير كاللَّبَبِ للدابة، المِشْرَط للحجام كالمِبْضَع للفاصد، والمبزغ للبَيْطَار "[93]، فكل آلة من هذه الآلات ذكرها مع الحيوان الذي تستعمل له، وكل آداة من الأدوات ذكرها مع ما يناسبها من أصحاب المهن الذين يستعملونها.

ويقول المصنف في تقسيم القدم :"بناء قديم، دينار عتيق، رجل دَهْرِيٌّ، ثوب عُدْمُلِيٌّ، شيخ قِنَّسري، عجوز قَنْفَرِشٌ، مال مُتْلَدٌ ..."[94]. والملاحظ أنه وضع الاستعمال الدقيق لكل كلمة، فكلمة بناء تتلاءم معها كلمة قديم وليس عتيق أو دهري، وكلمة دينار تتلاءم معها كلمة عتيق وليس دهري أو عدملي أو قنشري، والشيء نفسه بالنسبة للكلمات الأخرى.

وبناء على ما سبق ذكره يمكن القول إن كتاب "فقه اللغة وسر العربية " للثعالبي من معاجم الموضوعات وهو مرتب بحسب المعاني تضمن حقولا دلالية ومن خلال مقاربته بما توصل إليه البحث الدّلالي الحديث نجده:

– قام الثعالبي بتصنيف ألفاظ اللغة وتقسيمها إلى أبواب(يقابلها في علم الدلالة الحديث الحقول الرئيسية) وتنقسم بدورها إلى فصول(يقابلها في علم الدلالة الحديث الحقول الفرعية).

– لم يشتمل معجم فقه اللغة وسر العربية للثعالبي على كل ألفاظ اللغة كما رأينا في "معجم العهد الجديد " لأن هدف الثعالبي لم يكن من أجل تقديم معجم شامل بقدر ما كان يهدف إلى تصحيح ما دب من شيوع اللحن في معاني الكلمات في عصره.

– عقد الثعالبي أبوابا متخصصة وتعد من الإيجابيات التي تحسب له وهي تضاهي ما توصل إليه البحث الدلالي الحديث،كما أن الفصول التي تتضمنها هذه الأبواب معناها يدور حول موضوع واحد، بالإضافة إلى انتمائها إلى مجال واحد قام بترتيبها وفق طرائق مختلفة ودقيقة جدا (من القلة إلى الكثرة، ومن الكثرة إلى القلة ومن الأعلى إلى الأسفل) وهذا يعد عملا جبارا لأنه جاء في وقت مبكر مقارنة بما توصل إليه البحث الدلالي الحديث الذي يعتمد على أحدث الأجهزة في جمع المواد وتصنيفها؛ أما الثعالبي فقد اعتمد على حسه اللغوي لا غير.

– لم يتبع الثعالبي منهجا معينا في تصنيف الحقول الدلالية الموجودة في معجمه وقد عقد أبوابا غير متخصصة فاحتوت على فصول لاتمت لها بصلة وهذا ما يحسب عليه.

وما يمكن قوله في الأخير إن الباحثين اللغويين العرب لم يقدموا إضافة لمعاجم المعاني ولو بسيطة عن طريق تدعيمها بملحق يحتوي على ترتيب ألفبائي للكلمات المشتملة عليها لتسهّل على الباحث الوصول إلى اللفظة المراد شرحها، كما أنها لم تتوج بمعجم شامل لمفردات اللغة العربية، فلو أردنا فعلا النهوض باللغة العربية والحفاظ عليها واستعمال المفردات التي تعبر بدقة عن أفكارنا فإنه من دون شك سيكون الانطلاق من معاجم المعاني لأنها تهتم بمعاني المفردات، إضافة إلى تحديد الفروق الدقيقة بين المفردات المتقاربة في المعني والتي يستخدمها العربي اليوم باعتبارها مترادفة.

---

[1]- Mounin(G) : clefs pour la linguistique, se ghors, 16ed, paris, 1971, p: 60.– ؛وانظر: موريس أبو ناضر، مدخل إلى علم الدلالة الألسني، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد: 18 /19، بيروت– لبنان، السنة: 1982م، ص:35.

[2]– فندريس: اللغة، ترجمة: عبد المجيد الدّواخلي ومحمد القصاص، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة– مصر، 1950م، ص: 333 .

[3]– انظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة–مصر، (ط 2)، 1988م، ص: 80؛ وانظر: نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، المكتبة الجامعية الأزاريطة، الإسكندرية – مصر، 2000م، ص: 373.

[4]- أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ص: 86.

[5]- المرجع نفسه، ص:86.

[6]- جرمان كلود وليولان: علم الدلالة، ترجمة: نور الهدى لوشن، دار الفاضل، دمشق–سوريا، 1994م، ص: 8، وانظر:مجمع اللغة العربية: المعجم الفلسفي ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1988م، ص: 45.

[7]- انظر:أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص:85 ، 86.

[8]– nida (E.A): Componential analysis of meaning, 1975,p : 93؛وانظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص: 96.

[9]- أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ص:108.

[10]- انظر:حسين نصار، المعجم العربي نشأته وتطوره، دار مصر للطباعة، القاهرة–مصر، (د ط)، 1/ 122، وانظر: رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة – مصر، 1420/ 1999م، (ط 6)، ص: 230 وما بعدها.

[11]- انظر: أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق–بيروت، (ط1)، 1986م، ص: 300.

[12]- انظر: كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في علم اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة– مصر، 1985م، (ط 2)، ص:302.

[13]– الجرجاني: التعريفات، الدار التونسية للنشر ، تونس، 1971م، ص: 123م.

[14]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[15]- انظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص:95.

[16]– انظر: ابن عصفور، المقرب، تحقيق:أحمد عبد الستار جواري ويحي الجبوري، مطبعة العاني، بغداد – العراق، (دت)،46/1.

[17]– انظر: فاضل الساقي، أقسام الكلام العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة – مصر،1977م ، ص: 221.

[18]- انظر: الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، تحقيق: خالد فهمي، مكتبة الخانجي، القاهرة–مصر، (ط 1)، 1418هـ ،1998م، (1)25/2.

[19]- انظر: المصدر نفسه، (17)/223.

[20]- انظر: المصدر نفسه، (1) 3/ 26 .

[21]- انظر: المصدر نفسه، (28)/517.

[22]- انظر: المصدر نفسه، (1) 29/5.

[23]- انظر: المصدر نفسه، (23)/408.

[24]- انظر: المصدر نفسه، (1) 30/6.

[25]- انظر: المصدر نفسه، (24) 450.

[26]- انظر: المصدر نفسه ، (1) 34/11.

[27]- انظر: المصدر نفسه، (17)/223.

[28]- المصدر نفسه، (16) /202.

[29]- انظر: المصدر نفسه، (2) 4 /42 .

[30]- انظر: المصدر نفسه،(2)/37 .

[31]- انظر: المصدر نفسه ،23 /408 .

[32]- انظر: المصدر نفسه، (17)/223 .

[33]- انظر: المصدر نفسه،(24) 5 /456 .

[34]– المصدر نفسه،(25)/467

[35]– انظر: المصدر نفسه، (20) /340.

[36]– المصدر نفسه، (3) 48.46/3 .

[37]- انظر: المصدر نفسه، 1(7) /31.

[38]- انظر: المصدر نفسه، (3) 31/7.

[39]- انظر: المصدر نفسه، (23)423/18.

[40]- المصدر نفسه ، (5)56/3 ،57.

[41]- انظر: المصدر نفسه، (14)6 /139.

[42]- انظر:المصدر نفسه، (14) 7 /140.

[43]- انظر: المصدر نفسه، (14)6 /139.

[44]- انظر:المصدر نفسه ، (25) 484/14.

[45]- انظر: المصدر نفسه، (25)485/15.

[46]- انظر: المصدر نفسه ، (1) 23/1.

[47]- انظر: المصدر نفسه، (25)23/16 .

[48]- انظر: المصدر نفسه، (25)485/16.

[49]- انظر: المصدر نفسه، (26) 2 /493 ،494.

[50]- انظر: المصدر نفسه، (4)1 /49، (30)17 /548.

[51]- انظر: المصدر نفسه، (5)1 /53، (27) 3 /515.

[52]- انظر: المصدر نفسه، (5)1/ 53 ،(28) 5 /520.

[53]- انظر: المصدر نفسه، (24)/450.

[54]- انظر: المصدر نفسه، (25) / 467

[55]- انظر : المصدر نفسه، (26)/488 .

[56]- انظر: المصدر نفسه، (27)/510.

[57]- انظر: المصدر نفسه، (28) /517.

[58]- انظر:المصدر نفسه، (6)/64.

[59]- انظر: المصدر نفسه، (7) /68.

[60]- انظر: المصدر نفسه، (8)/71.

[61]- انظر: المصدر نفسه، (9)/76.

[62]- انظر: المصدر نفسه، (11)/100.

[63]- انظر: المصدر نفسه، (28) / 517 وما بعدها.

[64]- انظر: المصدر نفسه، (27) /510وما بعدها.

[65]- انظر: ابن سيده، المخصص، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت-لبنان،(دت)، (3)200/10.

[66]- انظر: ابن فارس، مقاييس اللغة،مادة(جثل)، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي القاهرة-مصر، 1402هـ، 1981م، ص: 505.

[67]- انظر: المصدر السابق، (3) 157/10.

[68]- انظر: الفارابي، ديوان الأدب، تحقيق: أحمد مختار عمر، القاهرة– مصر، 1398هـ، 1978م، 79/2.

[69]- انظر: المصدر نفسه، (شمط)، 412/1.

[70]- انظر: ابن سيدة، المخصص، (3)200/10.

[71]- انظر: المصدر نفسه، (3) 201/10.

[72]- انظر: المصدر نفسه، (3)203/10.

[73]- الثعالبي: فقه اللغة وسر العربية، تحقيق: خالد فهمي، (28) 517/1.

[74]- المصدر نفسه، (21) 369/3.

[75]- انظر: الزمخشري، أساس البلاغة، مادة (قبل)، 354.

[76]- الثعالبي: فقه اللغة وسر العربية، تحقيق: خالد فهمي، (21) 369/3 ، 370.

[77]– انظر: المصدر السابق، مادة (لغظ)، ص: 410.

[78]- انظر: ابن فارس: مقاييس اللغة، مادة(غمم)، 4/ 378.

[79]- انظر: الزمخشري، أساس البلاغة ، مادة (لجب)، ص: 404.

[80]- انظر: المصدر نفسه، مادة(وغى)، ص: 504.

[81]- انظر: المصدر نفسه، مادة (جلب)، ص: 61.

[82]- الثعالبي: فقه اللغة وسر العربية، تحقيق: خالد فهمي، (20)344/4 ، 345 .

[83]– انظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص: 80 وما بعدها.

[84]– انظر: الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، تحقيق: خالد فهمي، (16) /202.

[85]– انظر: المصدر نفسه، (16) 202/1.

[86]– وهو السعال، انظر: الفيروز أبادي: القاموس المحيط، دار الكتب المصرية، القاهرة– مصر، 1397هـ،1977م،1 /115 .

[87]-وهو داء يصيب الحلق، انظر: المصدر نفسه ، (خنن)، 4 /222.

[88]- داء يصيب الرئة، انظر: المصدر نفسه ،مادة(نحز)، 2 /200.

[89]- هو السل، انظر: المصدر نفسه،مادة(هلس)، 2 / 269 .

[90]-وهو قرحة الرئة، انظر: المصدر نفسه،مادة(سلل)، 3 /408.

[91]– الثعالبي: فقه اللغة وسر العربية، تحقيق: خالد فهمي، (30) 535/3.

[92]- انظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص: 80،81 .

[93]- الثعالبي: فقه اللغة وسر العربية، تحقيق: خالد فهمي، (2) 42/4.

[94]- المصدر نفسه، (10)83/6.

قائمة المصادر والمراجع:

1 –ابن سيده (أبو الحسن علي بن إسماعيل): المخصص، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة ،بيروت– لبنان،(دت).
2 –ابن عصفور(علي بن مؤمن)، المقرب، تحقيق: أحمد عبد الستار جواري ويحي الجبوري، مطبعة العاني، بغداد – العراق، (د.ت).
3 –ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا): مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي القاهرة– مصر، 1402هـ، 1981م.
4 –أحمد محمد قدور: مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق–بيروت، (ط1)، 1986م .
5 –أحمد مختار عمر: علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة – مصر، (ط2)، 1988م.
6 –الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل): فقه اللغة وسر العربية، تحقيق: خالد فهمي، مكتبة الخانجي، القاهرة–مصر، (ط1)، 1418هـ ،1998م.
7 –الزمخشري (جار الله أبو القاسم، محمود بن عمر): أساس البلاغة، تحقيق: محمد عبد الرحيم، دار المعرفة، بيروت– لبنان، 1399هـ،1979م .
8 –الفرابي (إسحاق بن إبراهيم بن الحسين)، ديوان الأدب، تحقيق: أحمد مختار عمر، القاهرة– مصر، 1398هـ، 1978م.
9 –الفيروز أبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب): القاموس المحيط، دار الكتب المصرية، القاهرة– مصر،1397هـ،1977م.
10 – حسين نصار: المعجم العربي نشأته وتطوره، دار مصر للطباعة، القاهرة – مصر، (دط).
11 – رمضان عبد التواب: فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة –مصر،(ط 6)، 1420هـ، 1999م.
12 – فاضل الساقي: أقسام الكلام العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة – مصر،1977م.
13 – فندريس: اللغة، ترجمة: عبد المجيد الدّواخلي و محمد القصاص، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة – مصر، 1950 م.
14 – كريم زكي حسام الدين: أصول تراثية في علم اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة– مصر،(ط2)، 1985م.
15 – كلود جرمان وليولان: علم الدلالة، ترجمة: نور الهدى لوشن، دار الفاضل، دمشق–سوريا، 1994م.

16 – مجمع اللغة العربية: المعجم الفلسفي: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية،القاهرة– مصر ،1988م .

17 – محمود جاد الرب: نظرية الحقول الدلالية وجذورها في التراث العربي، مجلة مجمع اللغة العربية، مصر، سنة: 1413هـ، 1992م.

18 – موريس أبو ناضر:مدخل إلى علم الدلالة الألسني، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد:18،19،بيروت– لبنان، السنة: 1982م.

19 – نور الهدى لوشن: مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، المكتبة الجامعية الأزاريطة، الإسكندرية – مصر،2000م.

المراجع باللغة الأجنبية:

-1Mounin(G) : clefs pour la linguistique, se ghors,16ed, paris,1971.

-2Nida (E.A): Componential analysis of meaning, 1975.